خصائص الإسلام

الإسلام دين اليسر

الشيخ لطف الحق المرشدآبادي
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، دلال فور، جاركند

إن الإسلام دين يسر، وليس دين عسر وحرج وعنت ومشقة كديانات أخرى تكلف أتباعها بما لا يطيقون من أداء طقوسهم الدينية، بخلاف الدين الحنيف، فإنه لا يكلف أتباعه إلا بما يطيقون من الأعمال، ومن أداء العبادات والطاعات. ولذلك ترى أن الإسلام لقد راعى ناحية اليسر والسماحة في جميع الأوامر والنواهي، وفي العبادات والطاعات كلها، كيلا يشق على الإنسان امتثالها وأداؤها كما ستمرّ بك أمثلة ذلك في السطور القادمة إن شاء الله.

وإني أود الآن أن ألقي فيما يلي بعض الأضواء على كون الإسلام دين اليسر والسماحة بإيجاز مستمدا في ذلك من نصوص الكتاب والسنة.

أخي القارئ الكريم – وفقك الله – إنك إذا نظرت في كتاب الله تعالى وجدت أن الله تعالى جعل الدين الحنيف يسرا، وميّزه عن سائر الأديان والمذاهب في باب التيسير بميزات وسمات، وجعل جميع الأوامر والنواهي، والعبادات والطاعات والتعليمات والتشريعات والتنظيمات ميسرة لمن يأخذها ويعمل بها.

ومن ذلك ما أشار إليه الرب تبارك وتعالى في كتابه العظيم بقوله: {يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر} (سورة البقرة: ١٨٥).

ومن ذلك قوله تعالى: {ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج، ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون} (سورة المائدة: ٦).

وقال تعالى: {وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم) (سورة الأنبياء: ٧٨).

وقال: {لا يكلف الله نفسا إلا وسعها} (سورة البقرة: ٢٨٦).

وأرشد سبحانه وتعالى عباده المؤمنين إلى أن يدعوا ربهم بهذا الدعاء: {ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به} (سورة البقرة: ٢٨٦).

وقد يسر الله تعالى القرآن العظيم وما فيه من الهدايات والدروس والتوجيهات والعظات لمن يتذكر ويتبصر به فقال: {ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر}. (سورة القمر:١٧).

وأرشد إلى أن المرء يتقي الله ربه ما استطاع فقال: {فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا} (سورة التغابن: ١٦).

والآيات في هذا المعنى كثيرة معلومة.

وفي هذه الآيات الكريمة المتقدمة كلها إرشاد إلى أن الإسلام دين اليسر والسماحة، لا دين عسر وشدة وعنت ومشقة وحرج.

عرفت مما مر من الآيات الكريمة أن الله تعالى جعل الدين الإسلامي الحنيف ميسرا سمحا سهلا للناس لاتباعه والعمل به، ولم يجعل أوامر دينه وشرائعه وتشريعاته وهداياته وتعليماته شاقة ثقيلة بحيث يعسر على الإنسان أخذها والعمل بها.

وأما إذا درست السيرة النبوية الشريفة – على صاحبها أفضل الصلوات وأزكى التحيات – وجدت أن الرسول صلى الله عليه وسلم أوصى أصحابه وأنصاره – رضي الله عنهم – بالتيسير والتبشير، ونهى عن التعسير والتنفير كما في الحديث عن أبي موسى قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث أحدا من أصحابه في بعض أمره قال: "بشروا ولا تنفروا، ويسّروا ولا تعسروا" [1].

وكذلك نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يرشد أصحابه إلى التيسير في السلوك والمعاملة أيضا كما أن القصة التالية خير دليل على ذلك.

---

[1] رواه مسلم، كتاب الجهاد والسير.

جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقطعوا بوله، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: دعوه، فلما فرغ دعا بدلو من ماء فصبّه عليه، كما ثبت في صحيح مسلم عن أنس أن أعرابيا بال في المسجد، فقام إليه بعض القوم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعوه لا تزرموه، قال: فلما فرغ دعا بدلو من ماء فصبه عليه". (1)

وكذلك نجد الرسول صلى الله عليه وسلم أرشد أصحابه وأتباعه رضي الله عنهم إلى التيسير في الأمور كلها، والرفق بالناس، ونهاهم عن التنفير والتعسير والتشديد والتهديد فقال: "فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين".

وكذلك نجد في الدين النبوي والشرع المحمدي أمر التيسير واضحا جليا كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم" (2) الحديث.

وكذلك إذا درسنا الهدي النبوي وجدنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم ما شرع التيمم لمن لا يجد الماء، وكذا المسح على الخف، وما شرع قصر الصلاة في السفر، والفطر للمسافرين، وفطر المرضع، والمسح على الخف للمقيم يوما وليلة، وللمسافر ثلاثة أيام، والاكتفاء بالاستنجاء بالحجر عند عدم الماء، والصلاة قعودا لمن لا يقدر على القيام، والجمع بين الصلاتين، وما أخر صلاة العشاء إلى نصف الليل، وكذا ما أخر الوتر إلى آخر الليل قبل طلوع الفجر لمن يثق بالانتباه، وكذا ما أخّر غسل الجنابة إلى الفجر لمن يشاء، وكذا ما أباح الطواف للجنب على نسائه بغسل واحد، وما شرع الصلوات المفروضات والنوافل بوضوء واحد، والتيمم للجنب والمحدث إذا خاف أن يقتله الماء، وإطعام مسكين كل يوم مدين من طعام للشيخ الكبير العاجز عن الصيام، وما أباح للمحرم أن يحلق شعره إذا كان به مرض يقتضي حلق الرأس، أو كان به أذى من

---

(1) كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد الخ.

(2) باب توقيره صلى الله عليه وسلم وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه الخ.

الهوام التي تتكون في الشعر حين يطول ولا يمشط، وهلم جرا إلا دفعا للحرج والمشقة، ورفعا للعنت، ولطفا ورفقا بالأمة، وتيسيرا عليها.

وكذلك نرى أن الشارع عليه الصلاة والسلام لما رأى الحرج والمشقة في أمر السواك عند كل صلاة لم يأمر بذلك أمته دفعا للحرج والضرر، ورفقا بأمته كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة" (١).

وكذلك نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم بيّن أنه لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب، ولم يبين مخارج الحروف التي يتوقف عليها صحة قراءة الفاتحة، وتشديداتها وحركاتها وسكناتها، وبين أن استقبال القبلة شرط في الصلاة، ولم يبين قانونا نعرف به استقبالها، وبين أن نصاب الزكاة مائة درهم ولم يبين أن الدرهم ما وزنه، ولم يكلف أمته في معرفة استقبال القبلة وأوقات الصلاة والأعياد وحفظ مسائل الهيئة والهندسة، وأشار بقوله: "القبلة ما بين المشرق والمغرب". إذا استقبل الكعبة إلى وجه المسألة، وقال: "الحج يوم تحجون، والفطر يوم تفطرون".

إنما راعى الشارع عليه الصلاة والسلام في كل ذلك جانب دفع الحرج والمشقة كيلا تقع أمته في الحرج والضرر في أداء العبادات والطاعات وفي امتثال الأوامر.

وكذلك سن الرسول صلى الله عليه وسلم الصلاة في الرحال في اليوم المطير كما في صحيح مسلم عن نافع أن ابن عمر أذن بالصلاة في ليلة ذات برد وريح فقال: "ألا صلوا في الرحال" ثم قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر المؤذن إذا كانت ليلة باردة ذات مطر يقول: ألا صلوا في الرحال" (٢) .

ونجد كذلك الرسول أنه صلى بالناس في المسجد في رمضان ثلاث ليال، فلما رأى كثرة أهل المسجد في صلاة التراويح، ورأى أنهم يعجزون عن ذلك لم يخرج إليهم

---

(١) كتاب الطهارة، باب السواك.

(٢) باب الصلاة في الرحال في المطر.

خشية أن تفرض عليهم صلاة التراويح جماعة في المسجد كما في صحيح مسلم عن عائشة – رضي الله عنها – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في المسجد ذات ليلة، فصلى بصلاته ناس، ثم صلى من القابلة فكثر الناس ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما أصبح قال: قد رأيت الذي صنعتم، فلم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن يفرض عليكم. قال: وذلك في رمضان. [١]

ترى في هذا التوجيه النبوي الكريم ما يرشدك إلى ما في الدين الإسلامي الحنيف من التوجيهات السامية الميسرة للعمل بها، كما ترى أن الرسول صلى الله عليه وسلم أراد بذلك الشفقة على أتباعه، واللطف والرفق بهم حتى لا يقعوا في الحرج والمشقة في أداء العبادات.

وترى الرسول صلى الله عليه وسلم أنه أباح كذلك تأخير قضاء رمضان إلى رمضان الآتي لمن أفطر بعذر كمرض، وسفر، وحيض ونحو ذلك تسهيلا وتيسيرا على الأمة، كما في صحيح مسلم عن أبي سلمة قال: سمعت عائشة تقول: كان يكون عليّ الصوم من رمضان، فما أستطيع أن أقضيه إلا في شعبان، الشغل من رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو برسول الله صلى الله عليه وسلم". [٢]

كما أنه صلى الله عليه وسلم سن الفطر للحاج بعرفات يوم عرفة لئلا يضعف عن الأذكار والوظائف المشروعة يومئذ. ففي صحيح مسلم عن أم الفضل تقول: شك ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صيام يوم عرفة، ونحن بها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأرسلت إليه بقعب فيه لبن وهو بعرفة فشربه [٣]، تيسيرا على الأمة.

---

[١] باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح.

[٢] باب جواز تأخير قضاء رمضان الخ.

[٣] باب استحباب الفطر للحاج بعرفات يوم عرفة.

وكذلك أباح الرسول صلى الله عليه وسلم التنفل في السفر لمن شاء أن يترك دفعا للحرج وتيسيرا على الأمة. فقد ثبت عن الشارع – عليه الصلاة والسلام – فعلا أنه لم يزد في السفر على ركعتين، كما ثبت في صحيح مسلم عن حفص ابن عاصم بن عمر بن الخطاب عن أبيه قال: صحبت ابن عمر في طريق مكة، قال فصلى لنا الظهر ركعتين ثم أقبل وأقبلنا معه حتى جاء رحله، وجلس وجلسنا معه، فحانت منه التفاتة نحو حيث صلى، فرأى ناسا قياما فقال: ما يصنع هؤلاء؟ قلت: يسبحون، قال: لو كنت مسبحا أتممت صلاتي، يا ابن أخي! إني صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر فلم يزد على ركعتين حتى قبضه الله [١] الحديث.

أخي في الله – رحمك الله – اعلم أن السنة في أعمال الحج يوم النحر بعد الدفع من مزدلفة أربعة أعمال: رمي الجمرة، ثم نحر الهدي، ثم الحلق، ثم طواف الإفاضة. والسنة في هذه الأعمال الأربعة أن تكون مرتبة، فإن خالف ترتيبها فقدم مؤخرا، أو أخر مقدما جاز، كما في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بمنى للناس يسألونه، فجاء رجل فقال يا رسول الله! لم أشعر فحلقت قبل أن أنحر فقال: اذبح ولا حرج، ثم جاءه رجل آخر فقال يا رسول الله! لم أشعر فنحرت قبل أن أرمي فقال: ارم ولا حرج، قال: فما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء قُدم ولا أخر إلا قال: افعل ولا حرج". [٢]

فبان لك من هذا التوجيه النبوي الكريم السالف ذكره ومن أمثاله من التوجيهات السامية المتقدمة واضحا جليا أن الشرع المحمدي والدين النبوي يرشد المرء دائما إلى اختيار المنهاج الأيسر والطريق الأسهل في العبادات والأعمال والطاعات كلها، كما يرشد إلى ترك الأعمال والطاعات التي فيها حرج ومشقة وعنت يعسر على المرء أداؤها وامتثالها.

---

[١] كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

[٢] كتاب الحج، باب بيان أن السنة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر ثم يحلق الخ.

وجاءت الرسالة المحمدية لترفع الحرج والعنت عن الإنسان في أداء العبادات ولذا إنها ترشد دائما إلى التيسير في الأعمال كلها، فقد ثبت في صحيح مسلم عن عقبة بن عامر أنه قال: نذرت أختي أن تمشي إلى بيت الله حافية، فأمرتني أن أستفتي لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيته فقال: لتمش ولتركب". [١]

وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى شيخا يهادى بين ابنيه فقال: ما بال هذا؟ قالوا: نذر أن يمشي، قال: إن الله تعالى عن تعذيب هذا نفسه لغني، وأمره أن يركب. [٢]

أخي في الله – رحمك الله – اعلم أن من التيسير أن وضع الإسلام عن الناس الآصار والأغلال التي كانت عليهم، وإلى ذلك أشار الرب تعالى بقوله: {ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم} (سورة الأعراف:١٥٧) الآية.

أي أنه – محمد صلى الله عليه وسلم – جاء بالتيسير والسماحة كما ورد الحديث من طرق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "بعثت بالحنيفية السمحة". [٣]

ومن التيسير أيضا أن جعل الله الأرض كلها طهورا ومسجدا كما في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض طيبة وطهورا ومسجدا" [٤] الحديث.

---

[١] ٢ / ٤٥، كتاب النذر.

[٢] رواه مسلم ٢ / ٤٥، كتاب النذر.

[٣] انظر تفسير القرآن العظيم ٢ / ٣٣٩ لابن كثير.

[٤] ١ / ١٩٩، كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

وإن اليسر والرفق من طبيعة الدين النبوي، واللين والسماحة من الخلق المحمدي. ولذلك ترى في جميع شرائع وأوامر دينه، وتعليمات شرعه جانب التيسير والسماحة واضحا جليا كما ترى ذلك جليا في خلق النبي صلى الله عليه وسلم وسلوكه، وسيرته، ومعاملته، ومعاشرته ومخالطته بالناس كما يتضح لك ذلك واضحا من القصة التالية: فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة – رضي الله عنه – يقول: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له: "ثمامة بن أثال" سيد أهل اليمامة، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ماذا عندك يا ثمامة؟ قال: عندي يا محمد خير، إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان من الغد، فقال: ماذا عندك يا ثمامة؟ قال: ما قلت لك: إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أطلقوا ثمامة، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد، فقال: "أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله" يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إليّ، والله ما كان من دين أبغض إليّ من دينك، فأصبح دينك أحب الدين كله إليّ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إليّ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: أصبوت؟ فقال: لا ولكني أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا والله لا تأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم" [1].

---

[1] كتاب الجهاد والسير، باب ربط الأسير وحبسه الخ.

وبهذا تبين بجلاء ووضوح تام أن الرسالة المحمدية طبيعتها الرفق واللين، وخلقها اليسر والسماحة، كما اتضح جليا أن الناس دخلوا في دين الإسلام الحنيف متأثرين بأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم الكريمة النظيفة وشمائله الجميلة، ومعاملته الطيبة، وسلوكه الحسن لا أنهم أكرهوا على الدخول في هذا الدين، وما أكره أحد على ترك عقيدته ودينه قط، لا تجد في التاريخ الإسلامي كله نظيرا ومثيلا لذلك. هذا، وكذلك تجد أمثلة كثيرة في التاريخ الإسلامي في أن عددا كثيرا من الناس من غير المسلمين دخلوا في دين الإسلام – دين اليسر والسماحة والفطرة – متأثرين بمحاسن الدين الحنيف الجذابة، وميزاته الساحرة، وخصائصه الباهرة، ومتأثرين بالأخلاق النبوية الفاضلة والشمائل المحمدية المحمودة الكريمة.

ولا يظن أحد أن الدين الإسلامي الحنيف نشر بالقوة والعنف، وفرض السيف في نشره، كما يقول ذلك بعض أعداء الدين بل الإنسانية، ظانين بأن الإسلام قد فرض السيف في نشره، وأن محمدا استخدم القوة والعنف، وحمل السيف في نشر دينه، وقد رفض القرآن هذا الاعتقاد الفاسد والظن الخاطئ بقوله: {لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي} (سورة البقرة: ٢٥٦) الآية، رفضا باتا.

فقد عرفت – أخي القارئ الكريم – جيدا مما تقدم من نصوص الكتاب والسنة أن الإسلام دين اليسر والسماحة، يسر الله تعالى شرائع وأوامر دينه، وهداياته وتعليماته للإنسان للعمل بها، واتباعها، ولم يجعل مأموراته ومحظوراته، وشرائعه وقوانينه وتنظيماته ثقيلة شاقة بحيث يعسر على أتباعه أخذها وامتثالها كديانات أخرى حملت على أتباعها ما يشق عليهم أداؤه وامتثاله.

❖❖❖